



أثمن ما فترته العميون

✽ لعبد المسيح حداد ✽

(رئيس تحرير جريدة السائح)

➤ عضو في الرابطة القلمية ➤

ليس من يشردموع العين كمن يسح قطرات القلب .
 كانت محطة القطار في احدى مدن سوريا مكتظة بجماهير المودعين
 لفتى ابن ارملة . وكنت يومئذ فتى لا اعرف البكاء الا متأثراً ولهذا كنت
 بين جماعة من ذكورت غربياً منتظراً ساعة يتحرك القطار لاثرك المحطة
 وارجع الى منزلي مبتعداً عن جماعة الباكين .
 كنت ارى دموع المودعين من اقارب ابن الارملة ومعارف الجبيع
 تبلى المناديل وكانت انات الصدور وتهدات القلوب تحدث في النفس
 انقباضاً اما انا فقد كنت غربياً عن الجبيع والمودع منه ولهذا لم تكن العوامل
 لتخرق قلبي بل كانت تلامسه ملامسة فشيئه قليلاً فلا تلبث ان تذهب

غير تاركة أثراً من الأثار - نسمة لطيفة تمر على سطح الماء فتلامسه ملاسة
ولكنها لا تموجه .

والسر في ذلك ان عقلي كان ينبئني ان تلك الدموع رخيصة وان تلك
العوامل الشجية ادوار تمثيلية كلها تقليد ورتاء فالسر كل السر في الارملة
ووحيدها المسافر .

سألت الذين كانوا حيايي - ابن والدة المسافر . ابن الارملة التي
انشأت وحيدها بناء حياتها . ابن من صارت الايام والليالي لتندود عن
فلذة كبدها وتفيه عشرات الدهر ؟

وكنت شيقاً لمشاهدة تلك الارملة وهي في ساعة زراع احب خلق
الله اليها . في ساعة فراق من كانت ولا عجب تود فراق الحياة ولا فراقه .
فدلت عليها وتطلعت اليها فاذا بها محاطة بالنسوة الباقيات اما هي
فكانت واقفة رافعة الرأس تنظر بوجه وحيدها الواقف على درج القطار
تهمس في اذنه آوثة وتبسم بوجه اخرى اما عيناها فكانتا ناشفتين
والدة المسافر الارملة تفارق حياتها وفلذة كبدها تبسم ؟ عجباً وما
الذي يفرح الارملة في وداع وحيدها ؟

تلك عوامل جديدة لم يسمع بمثها وذلك درس تلقته بمدرسة ذلك
اليوم وهو اليوم نصب عيني لا انساء - الا وهو ابتسامة ام في الوداع
تحرك القطار فكنت ارى المودعين وايديهم تغطي وجوههم اما
الارملة فرأسها مرفوع ويدها تشير للمسافر بالوداع وعلى وجهها تلك الابتسامة

الى ان ابتعد القطار ولم يمد طرفا المسافر وانه يلتقيان . عندئذ رأى
الارملة قد غمرت رأسها بين يديها وقد تحولت ابتسامتها الى كآبة واخذت
عينها تشران دموعاً غالية الثمن - اثن ما ثرته العيون

في تلك اللحظة كانت رومس الجميع مرفوعة الى فوق فقد انتهى
دور تمثيلها واما رأس الارملة فلم اعد اراه ملياً لانها نقلت الى العربة المعدة
لها وهي باكية بكاء يذيب الاكباد

وقد سمعت البعض يتهايمون - لله درها من ارملة حكيمة . لم تشأ
ان تحزن قلب وحيدها فدعتهم يفارقها باسمة ولكنها ثرت دموعها غزيرة
بعدها ابتعد .

هذه الدموع - دموع الوالدة - هي اثن ما ثرته العيون

